مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 5: 2019.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(27), No.(5): 2019.

تجلّيات العاطفة و التفكّر في شعر امرئ القيس

صفا زهير عبيد
قسم اللغة العربية وآدابه/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة فردوسي مشهد

حسن عبدالهى
الاستاذ المشارك في جامعه فردوسي مشهد
قسم اللغة العربية وآدابها/كلية الآداب والعلوم الإنسانية/ جامعة فردوسي مشهد
abd@um.ac.ir

معلومات البحث
تاريخ الاستلام : 21 /7/ 2019
تاريخ قبول النشر: 2019 /7/28
تاريخ النشر: 2019 / 12/31

الخلاصة

علي حد تعبير كثير من النقاد العرب، يعدّ امرؤ القيس أكبر شاعر في العصر الجاهلي وله أيضا إبداعيات أدبية ولغوية في مجال اللفظ والمعني. وانطلاقا من هذا، فإنّ أدب هذا الشاعر مجال خصب للدراسة من الناحية العاطفية والفكرية.

إنّ الجدلية في العاطفة والفكرة في تجربة امرئ القيس واضحة من خلال ما أتي به الشاعر من ألفاظ وتعابير وتصاوير في ثنايا أشعاره.

تهدف هذه المقالة – اعتمادا علي المنهج الوصفي – التحليلي– إلقاء الضوء علي العاطفة والفكرة وتجلياتهما وتجربة الشاعر هذا، وهي تتلخّص في ميل الشاعر إلي الدعارة واللذة والعشق وغير ذلك في مجال العاطفة من جهة وفي الحكمة والأخلاق والمواصفات الحسنة من جهة أخري ومن النتائج التي توصلت إليها المقالة هذه أنّ امرئ القيس يتأرجح في تجربته الشعرية بين العاطفة والفكرة، أحيانا نلاحظه يميل إلي اللذة والاستماتع بها، وأحيانا أخرى يدور مدار شعره في محور الحكمة ومكارم الأخلاق وغيرها. وخلافا لما ادّعاه بعضهم من دعارته المطلقة فإنّنا نلاحظ ومضات الفكرة الطيبة والأخلاق الجميلة والحكمة الممتازة في نصّه الأدبي.

الكلمات الدالة: امرؤ القيس، العاطفة، التفكر

Journal of University of Babylon for Humanities (JUBH) by University of Babylon is licensed under a
Creative Commons Attribution 4.0 International License

مجلة جامعة بابل للعلوم الإنسانية، المجلد 27، العدد 5: 2019.
Journal of University of Babylon for Humanities, Vol.(27), No.(5): 2019.

Expressions of Emotion and Belief in the Poetry of Omrul Qais

Safa Zuhair Obaid
Department of Arabic Language and Literature/College of Arts and Humanities/ University of Paradise

Hassan Abdel - Elihi
Associate Professor at the University of Paradise
Department of Arabic Language and Literature/College of Arts and Humanities/ University of Paradise

Abstract

To the extent of expressing many Arab critics, he is considered the greatest poet in the pre-Islamic era and has literary and linguistic creativity in the field of pronunciation and meaning. Based on this, the poet's literature is fertile ground for study in terms of emotion and thought.

The controversy in emotion and thought in the experience of the man of the test is evident through the poet's words, expressions, and expressions in the folds of his poems.

This article is based on a descriptive-analytical approach that sheds light on the emotion, the thought, the manifestations and the experience of this poet. It is summarized in the poet's propensity to prostitution, pleasure, passion and others in the field of passion on the one hand, On the other hand, one of the findings of this article is that the man of al-Qais fluctuates in his poetry experience between emotion and thought. Sometimes we note that he tends to enjoy and listen to it, and sometimes his poetry revolves around the axis of judgment, morals and so on. Contrary to what some claim in his absolute poetry, we note the flashes of good thought, good morals, and excellent judgment in his literary text.

Key words: question, emotion, idea

1. المقدمة

من الواضح أنّ العصر الجاهلي – من الناحية الأدبية والتأريخية– كان ولا يزال مثار جدل ومضمار بحث لدي النقاد واللغويين العرب وغيرهم من المستشرقين. فذهب بعضهم كطه حسين مذهبا نقديا تشكيكيا رفض من خلاله الأدب الجاهلي بشكل عام، وعلي عكسه ذهب بعضهم الآخر إلي نقده نقدا بناءً معتقدا بوجوده وشعرائه وأدبائه علي الإطلاق. وعليه فإن دراسة الأدب الجاهلي تُعدّ لدي الدارسين ضرورة حتمية للدراسة. وأمر لابد منه. تأسيسا علي ذلک، إنّ امرئ القيس بوصفه شاعرا من شعراء هذا العصر له أدبه الخاص به ومعظم أدبه ينحصر في الوصف، كما أنّ البعض يقول:

«ينحصر معظم الشعر الجاهلي إلا القليل منه في باب الوصف. فالوصف هو فطرة اللغة العربية وأصل طبيعتها، الذي ركُبّت عليه، خاصة في عصر مثل العصر الجاهلي، فقد وصف الشاعر الجاهلي كل ما وقعت عليه بصيرته بريشة فنان بارع، راح يصوّر لنا مظاهر الطبيعة بكل ما فيها في لوحة رائعة

تسر الناظرين، فقد وصف الخيل، وصف الناقة، وسائر الحيوانات التي إستأنسها وإستوحشها، كما وصف النباتات ما أغلّ منها وما أظلّ، وصف الرحلة والصيد وغيرها من الاوصاف» [1 ص:2].

بناء علي ذلک فإن الأدب الجاهلي شعر عاطفة وخيال بارع من إنسان بدأت شمعة عاطفته تترعرع حينا بعد آخر. ويجب ان نقول أيضا إن أدب امرئ القيس لا يستثني عن محورية العاطفة في الأدب الجاهلي، شعره ينماز بالعتاء والجيشان والهيجان بشكل عام، وإذا كان أدبه علي نوع خاص من الفكرة، فإن مغزاه الجوهري عاطفي ينبض بالجيشان والهيجان دائما.

ومن هذا المنطلق وبما أن امرأ القيس شاعر كبير في العصر الجاهلي وفي أدبه تجليات فكرية وعاطفية، فإنّ دراسة هذا الشاعر تقدم لنا وللمتلقي فريضة معنية من فضاء الأدب الجاهلي العام كما أنه يساعدنا علي تلمس ثقافة ذلک العصر أيضا.

سؤال البحث: هل هناک تداخل وتماسک بين العاطفة والفكرة في أدب امرئ القيس.

فرضية البحث: علي الرغم من أن امرأ القيس تغلب علي أدبه فكرة و إيديلوجيا معينة إلا أن العاطفة بما فيها من تجليات ومظاهر تبدو لنا بشكل أوضح وألمس.

سابقة البحث: لقد درس الكثير من الباحثين والنقاد الأدب الجاهلي بشكل عام وأدب امرئ القيس بشكل خاص، فمن هذه الأعمال تمكن الإشارة إلي ما يلي:

- كتاب (الأدب الجاهلي العربي في عصر الجاهلية)، ألفه الحاج حسن حسين وقد أشار الكاتب فيه إلي مواصفات العصر الجاهلي، من الناحية الأدبية، بشكل عام، وهناک مؤلف آخر عنوانه **(شعر وشرر)** ألفته نجمة رجائي وقد أشارت فيه إلي قضايا نفسية كلية لا تمت لبحثنا بصلة، وهناك كتاب آخر عنوانه شرح القصائد العشر للخطيب التبريزي،...تحقيق: فخر الدين قباوة، صدر عن وزارة الثقافة وكل ما جاء به الشارح فيه هو الشرح والتفسير للأبيات والمتعلقات الخاصة بالشاعر فقط.

ومن المقالات المكتوبة بإمكاننا الإشارة إلي (العاطفة و ارتباطها بالأدب) كتبها حسن عبد الحميد وقد تطرقت هذه المقالة إلي العاطفة بوصفها عنصراً آمناً من عناصر الأدب فقط ولا غير، ومنها أيضا مقالة عنوانها: "طبيعت وعناصر آن در شعر امرئ القيس"(علمي- پژوهشي). ولقد ألقي الكاتب الصور – كما هو واضح من العنوان- علي الطبيعة بكل ما فيها من الحيوانات والنباتات والبحر والجداول وغيرها، هنا لابدّ أن نقول صحيح أن الدراسات أعلاه تم إخراجها في خصوص امرئ القيس أدبه وعصره، إلا أنها لا تغنينا عن الدراسة هذه علي الإطلاق.

2. الشك في وجود امرئ القيس وأدبه

اهتم طه حسين اهتماما بالغا بحقيقة الادب الجاهلي وادعى اعتمادا على بعض الادلة والبراهين العلمية والثقافية، بأن هذا الادب مشكوك فيه على اساسه، ومن الشعراء المشكوك فيهم خاصة هو امرؤ القيس «...وقد شك فيه وفي شعره لاسباب، اولها: تضارب الرواة في اسمه وكنيته ونسبه وحياته، وثانيها: أن قسما من شعره يدور على قصة حياته يفسرها ويؤيدها، وهو يرى أن هذا القسم موضوع نحل ليفسر

هذه القصة. وثالثها: أن القسم الاخر من شعره المستقل عن الاهواء السياسية والحزبية موضوع منحول كذلك لان الضعف فيه ظاهر والاضطراب فيه بين، والتكلف والاسفاف فيه يكادان يلمسان باليد. ورابعها : أن يستثني من هذا القسم الاخير قصيدتين هما:

قصيدة :

قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل

وقصيدة:

الا انعم صباحا ايها الطلل البالي [2، ص: 395-396].

واذا سلكنا مسلكا غير هذا الذي كان عليه طه حسين و بعض هواته وعددنا للادب الجاهلي عامة وامرئ القيس خاصة، قيمة او محلّ من الاعراب، فبإمكاننا تحليل أشعاره ضمن محورين هـــامين وهمـــا الفكرة والعاطفة، سنتعرض له بعد الاشارة الى حياته وما الى ذلك.

3. حياته

كما أن بعض الدارسين يدعي علي أننا لا نعلم كثيرا عن حياة امرئ القيس الشاعر الجاهلي، فلقد قيل في هذه المناسبة إنه «و تردد في كتب الأدب أسماء مختلفة لامرئ القيس فيسمي حندجا وعديا ومليكة ويكني بأبي وهب وأبي زيد وأبي الحارث ويلقب كما ذكرنا بذي القروح والملك الضّلّيل وأشهر ألقابه امرئ القيس والقيس من أصناهم في الجاهلية كانوا يعبدونه وينتسبون إليه وأبوه حجر بن الحارث، أما أمه ففاطمة بنت ربيعة أخت كليب، مهلهل التغلبيين»[3، ص: 236]. وجاء في شرح الخطيب التبريزي، «هو جندح بن حجر بن الحارث بن عمرو المقصور الذي اقتصر علي ملك أبيه – بن حجر آكل المرار، معاوية بن الحارث بن معاوية بن مرتع وقال قوم: ابن معاوية بن ثور بن مرتع وهو عمرو بن معاوية بن ثور وهو كندة ابن عنير ويكني أبا الحارث» [4، ص: 19].

وقد أشار محمد بن سلام في كتابه إلي أنّه «أي إمرأ القيس في الطبقة الإولي من شعراء العصر الجاهلي فذكر نسبه فقال: إمرؤ القيس بن حجر بن حارث بن عمرو بن حجر آكل المرار بن عمرو بن معاوية بن يعرب بن ثور بن مرتع بن معاوية بن كندة». والذي يلفت أنظارنا خلال التعابير السابقة أنّ امرأ القيس كان شاعرا كبيرا وله كبير أثر في توجيه الأدب الجاهلي نحو الرّقي.

4. شعر امرئ القيس:

حتى يومنا هذا لا يزال "امرؤ القيس" أشهر الشعراء الجاهليين حيث كان مصدراً للإلهام الأدبي والوطني للمثقفين العرب حتى القرن الواحد والعشرين، ويعدّ أول شخصية أدبية عربية كبيرة، فلا تزال أبيات قصيدته " المعلقة " وهي واحدة من أفضل ما قيل فى الشعر العربي، وهي أيضا جزء لا يتجزأ من التعليم اللغوي والشعر الثقافي. اتفق الجميع حتى أكبر الشعراء بأن امرأ القيس أحدث أشياء كثيرة لم يقدر عليها غيره وتفرد بأسلوب بليغ لا يشبه أحدا حيث شملت قصائده استدعاء أصحابه للتوقف والبكاء على أنقاض المخيمات المهجورة واصفاً حبيبه بالصقل والرقة، واستخدام اللغة التي يسهل فهمها، وكان أول من

قارن النساء بالغزلان، ومثل الخيول بالطيور الجارحة والعصي، وفصل المقدمة المثيرة عن أبيات قصيدته لذلك تجاوز كل شخص من جيله. [5]

5. ديانة امرئ القيس

إنّ امرأ القيس كان شاعرا ممتازا بالتعقيد و التناقض العاطفي و الفكري إذن لم يكن مقيدا أو ملتزما بمذهب ديني معين، «كان دين امرئ القيس الوثنية و كان غير مخلص لها. فقد روي أنه لما خرج للأخذ بثأر أبيه مرّ بصنم للعرب تعظمه يقال له ذو خلصة. فاستقسم بقداحه وهي ثلاثة: الآمر والناهي والمتربص. فأجالها فخرج الناهي. فعل ذلك ثلاثاً فجمعها وكسرها. وضرب بها وجه الصنم. وقال: لو كان أبوك قتل ما عقتني» [6].

6. آثار امرئ القيس

لقد ضاعت معظم أعمال امرئ القيس الأدبية والذي بقي لنا منها هو ديوان مشتمل علي 25 قصيدة وتكتنفها بضعة مقطعات صغيرة ولها شهرة عالمية وقد ترحمه إلي لغات هامة كاللاتينية والألمانية، والقسم الأكثر شهرة من أدب الشاعر هو معلقته التي يبلغ عددها ثمانين – من بحر الرمل– حيث قام بشرحها عدة من الأساتذة الإيرانيين الكبار. وفي مجال شهرة هذه القصيدة، يكفينا إقناعا أن نقول إنها قد نقلت أيضا إلي لغات حية عالمية أمثال فرنسا وروسيا واللاتين. وهي التي يُطلق بـــ«يوم دارة جلجل» عبارة عن قصة حب إمرئ القيس لفتاة اسمها عُنَيزة. والجدير بالإشارة إلي أن هذه القصيدة – بما فيها من محاسن ومواصفات جيدة – يشعر المخاطب بشيء آخر وهو الكشف عن نقاب الروح العاطفي وقلب الشاعر الحساس والمنفعل، الشاعر الذي يتعرض للحزن والكآبة – إضافة إلي نظرته إلي اللهو والمجون غيرهما.[7، ص: 215].

7. العاطفة والفكرة

تعد العاطفة والفكرة من المحاور الأصلية المكونة للأدب وقد قيل في هذا المجال: تعدّ العاطفة والفكرة عنصرين هامين من الأدب، لهما دور هام في توجيه الأثر الأدبي نحو الرقي والتطور. في الحقيقة إنّ العاطفة والفكرة من المكونات الأدبية التي تؤدي فوطيفتهما من منطلق نفسي – معرفي. وبقدر ما يرتفع مستوي العاطفة يصبح البيان أكثر جلاء وأكثر وقعا في النفس لدي الشاعر. مما لا شک فيه، أنه هناک علاقة وثيقة بالأدب وعلم النفس، لأن نفسية الأدب مفتاح تحکم يوجه حرکته الأدبية من بعد [8، ص: 48]. وللفكرة أيضا تعريف معين خاص به وهي«تعني الفهم والأدراک لما يکون ببيئتنا» [9، ص: 6].

ومن الجدير بالإشارة إن الفكرة والعاطفة وجهان لعملة واحدة لأننا إذا تحدثنا عن العاطفة، فلابد حينئذ، أن نتحدث عن الفكرة أيضا والعكس كذلک. لكن العاطفة هي المحرک والدافع الأول والمحور في تكوين الشاعر. ولقد قيل في هذا المجال «لعل العاطفة أقوي العوامل اتصالا بالأدب وسائر الفنون الجميلة

وأوضح أثرا في النفس، فهي الطابع الذي يميز الفنون وهي الجو الصافي الذي فيه تسبح وترتوي»[10، ص: 20]. والجدلية بين الفكرة والعاطفة تأتي من هنا، أن كل واحدة منهما لا تتجرد عن الأخري، لذلك نلاحظهما في الأدب– سواء كان العصر الجاهلي أو العباسي، أو المعاصر وسائر الآداب– بشكل واضح.

وبالنسبة للأدب الجاهلي لازم أن نقول بأنّ العاطفة كانت له دور بارز في رقي الأدب و تطوره، وهناك علاقة وطيدة بين عاطفة الشاعر وما تجلى في أدبه من التصاوير والتعابير. كما أنّ للبيئة أيضا تأثير في توجيه عاطفة الشاعر وقد قيل في هذا المجال: «و قد يكون للمحيط الحار تأثيره في أيقاظ الشهوة الحيوانية باكرا في أجساد الأفراد والبدوي المطبوع علي التنقل في الصحراء مطبوع علي الإكثار من الزوجات والتنقل من قلب إلي قلب آخر» [11، ص: 18].

وعلى هذا ينبغي القول بأن عاطفة الشاعر الجاهلي تمتاز بالجيشان والهيجان والتذبذب، فنلاحظ أن شاعرنا امرئ القيس– تأسيسا علي هذا– يرخي عنان عاطفته حيث تميل، فطورا يعبر عن فحش الكلام وطورا عن الحكمة والأخلاق. «في الحقيقة إن الشعر الجاهلي رمز للحرية المطلقة – لدي الشاعر الجاهلي – في خصوص القيود الأخلاقية والدينية، شعرهم سافر وصرع دون أي رادع ومانع، فيقوم بتوصيف مشاغبات الشاعر واستمتاعاته، دون مخافة من المبالغة وهتك الحرمة، كما أنه لا يقيم وزنا للقضايا الأخلاقية». [12،ص: 36].

وإذا أمعنا قليلا فيما مضي، اتضح لنا أن البيئة الجاهلية كانت لها قوة كبيرة في توجيه عاطفة الشعراء ولاسيما امرئ القيس، فأتي شعره مليئا بالعتاء والحركة والنشاط.

8.عاطفة الشاعر

قيل آنفا بأن العاطفة هي عنصر وجداني يعد من مكونات الأدب الأصيلة. وبالنسبة لامرئ القيس بإمكاننا القول إن الشاعر هذا أدبه أدب عاطفي وعاطفته سلبية بالمعني الواسع للكلمة. وقليلة الأشعار والقصائد التي نجد من خلالها ملامح العاطفة الإيجابية. من تجليات عاطفة الشاعر بإمكاننا الإشارة إلي:

1_ عاطفة الغربة: لو أمعنا النظر في أشعار امرئ القيس يتّضح لنا أن هذا الشاعر غريب عن نفسه وعن الطبيعة حوله بشكل عام وهذه الغربة أو الاغتراب يتجلي في الأبيات الآتية:

وَلَيْلٍ كَمَوْجِ البَحْرِ أَرْخَى سُــدُوْلَهُ عَلَيّ بِأَنْوَاعِ الهُمُوْمِ لِيَبْــتَلِي
فَقُلْتُ لَهُ لَمّا تَــمَطّى بِــصُلْبِهِ وأَرْدَفَ أَعْجَــازاً وَنَاءَ بِكَلْكَــلِ
ألاَ يا أَيُّهَا اللّيْلُ الطّوِيْلُ ألاَ انْجَلِي بِصُبْحٍ، وَمَا الإِصْبَاحُ منكَ بِأَمْثَلِ

«كان الليل في القصيدة الجاهلية – في معظم الاحيان– زمن الحصار والقيد، إذ حفلت مشاهد الليل بالرموز الدالة على معاني الاسر، والجمود، والثبات، فالنجوم اما مقيدة، مشدودة إلى الجبال والصخور، فلا تستطيع التحرر والانفكاك، شديد البطء. ليمتد الليل، ويتحول الى قيد زمني ثقيل يطوق الذات ويفرض عليها حصارا يصعب الخروج منه. وهو ما يتكشف في نص لامرئ القيس، حمل الليل فيه ابعادا، ودلالات

نفسية و وجدانية، عندما تحول الى زمن نفسي خالص، اشتبك فيه زمن العالم الداخلي للذات بزمن العالم الخارجي المحيط بها» [13،ص: 136).

ولو دققنا قليلا في الأبيات المذكورة لتبين لنا أن الشاعر مصاب بنوع من التشاؤم والاكتئاب، إذ إن هناك دلالات وإيحاءات تتجلى في ألفاظه وتعابيره كالليل، ليل، الهموم، ليبتلي، ... كل هذه التعابير تشعرنا بوجود عاطفة سلبية في ذهنية الشاعر، وعليه، يمكننا القول بأن فضاء أدب الشاعر العام ينماز بنوع من الأدب الأسود، أو ما يسمّي بالتشاؤم وغيره. وفي حقيقة الامر، إن الطبيعة بنوعيها الحية والميتة متجلية في أدبه وتشعرنا حينا بعد حين بعاطفة الشاعر الجريحة. وقد جاء الليل – باعتباره من الطبيعة الميتة– في أدب امرئ القيس رمزا للحزن العميق.

وقد أفصح بعض الشعراء عن معاناتهم من ذلك الليل الموسوم بـــ"ليل التمام"حتى لقد غدا رمـــزاً لأشد ما يعانون من ضيقٍ وبرمٍ، يصلون به حد الخوف والفزع من سواد ما يسيطر على دواخلهم، وما يحيط بهم من ظلمة تتسق مع ما يعانونه جراء تلك الليلة القاسية. يقول امرؤ القيس في هذا المعنى دالاً على تلك الليلة السوداء القاتمة علـــى النفس بهمومها:

أَعنِّي علـــى التهمـــامِ والـــذّكَرات يبِتن علـــى ذي الهَـــم معتكـــرات
بلَيـــلِ التمـــامِ أَو وصـــلْن بِمثْلـــه مقَايســـــةً أَيـــــامهـــــا نكـــرات

إنّ للشاعر لغته في الإبانة عن شدة الخوف التي اعترته، وعكّرت عليه صفو تلك الليلة التي تفيض عليه بالذكريات، ويفصح عن حجم الهم القابع داخله، الهم الذي أتعبه وهو يقاسيه بطيئاً ثقيلاً في ليل التمام الطويل بذاته، والطويل بمعاناة الشاعر المنتظر، ولذلك يطلب الشاعر الإعانة على القهـــر الـــذي يسببه له الليل. [14،ص: 152–153].

2_ عاطفة الحب: معروف أن امرأ القيس كان عاشقا، و حتي إن حبيبته معروفة لدي الجميع. والذي يبدو لنا أن حب امرئ القيس حب مادي لا إلهي ولا معنوي فيتصل بالنزعة المادية. وعلى هذا فإننا نلاحظ أنه في كثير من قصائده يأتي بتعابير وتصاوير يندي لها وجه الأدب مثلا:

وبَـــيْضَةِ خدْرٍ لاَ يُرَامُ خبَاؤُهَا تَـــمَتّعْتُ مِنْ لَهْوٍ بِهَا غَيْرَ مُعْجَلِ [15، ص: 72]
مُهَفْهَفَـــةٌ بَيْضَاءُ غَيْرُ مُفَاضَةٍ تَرَائِـــبُهَا مَصْقُـــولَةٌ كَالسّجَنْجَلِ [15، ص: 76]
وكَشْحٍ لَطِيفٍ كَالجَدِيْلِ مُخَصّـــرٍ وسَـــاقٍ كَأُنْبُـــوبِ السّقِيّ المُذَلّلِ [15، ص: 78]

واضح تماما من خلال ما مضي أن الشاعر قد حُرِمَ بشكل من الأشكال من الأمّ أو الأمومة فصار يعوض عن حرمانه بالحبيبة (عنيزة) واعتماده علي ألفاظ وتعابير تدل علي فيزياء المرأة يدلنا علي رؤيته المادية تجاه المرأة. وقد يصبح وصفه تجاه المرأة أكثر قبحا وشناعة فيأتي كلامه من دون تقييد:

إِذَا مَا الثُّرَيّا فِي السّمَاءِ تَعَرّضَتْ تَعَرُّضَ أَثْنَاءَ الوِشَاحِ المُفَصّـــلِ
فَجِئْـــتُ وَقَـــدْ نَضّتْ لِنَوْمٍ ثِيَابَهَ لَـــدَى السّتْرِ إلاّ لِبْسَةَ المُـــتَفَضّلِ
هَصَرْتُ بِفَوْدَيْ رَأْسِهَا فَتَـــمَايَلَتْ عَلَيّ هَضِيْمَ الكَشْـــحِ رَيّـــا المُخَلْخَـــلِ

يتضح جليا مما مضي أن الشاعر ينظر إلي المرأة نظرة مادية بحتة، فهو يصوّر لنا موضعا جنسيا مهيجا، والمجون واضحة تماما من خلال هذه التصاوير. ومن جهة أخرى إن المرأة عند امرئ القيس هي رمز للخصوبة والحياة او قل الفرار من اليأس والقنوط «فالمرأةُ عندهُ رمزٌ فنِّيّ مفتوحَ الدلالةِ يرمز إلَى القوةِ والشبابِ والجمالِ والخصوبةِ، فبعد ذكر الدموعِ تبدأ الذكرياتُ الجزئية للمغامراتِ العاطفيةِ للشاعر أيام صباه، وكأَنَّهُ يواجه ضعف اليومِ بِبَأْس الأمسِ، فيذكرُ قصصاً متعاقبة لأكثرِ من محبوبةٍ تَحكي جرائته وجسارتهُ... فقيْمةُ المرأة الرمزيَّة في معلقة امرئِ القيسِ تَمنحُهُ صفات القدرة والقوَّةِ وتتعدَّاها لتكون رمزا للحياةِ والخصوبةِ والتجدُّد، من خلالِ صورِ الإشراقِ والبياضِ والحركةِ فتغدو مَجْمعاً يعجُّ بالحيويَّةِ والحياةِ وهذا ما يعينُه تَخطِّي أثقال الحاضرِ وعذاباته وبياسهِ في المقدمة الطلليَّة، وكلُّ صورة تُقدِّمُ ملمحاً ودلالة فكرة الحياة، فتَبْرزُ أولاً صورة المرأةِ البيضاءِ الخميصةِ البطن، وهيَ رمز للإشراق الذي يُواجهُ بهِ عتْمةَ نفسهِ وسوادَ حزنهِ...» [16]

3- عاطفة الحزن

كد جميع النقاد والمحللين أن معلقات العصر الجاهلي تكشف لنا عن عاطفة الشاعر وهي في حقيقة الامر ذاتية او بالاحرى غنائية. وينطبق هذا الامر على ادب امرئ القيس ايضا. بعبارة أخرى «شعر المعلقات من نوع الشعر الغنائي، وهو شعر ذاتي يمثل صاحبه وعواطفه ومشاعره ويردد صوته في مختلف أقسام القصيدة. فالشاعر، في وصف الاطلال، يعبر عن عاطفة الحنين والشوق، ويبدأ أساه لفراق الحبيب، وقد يبكي لأنه يجد في البكاء شفاء، وقد يتلهى بوصف الاثار معربا عن أسى خفيف لطيف، وقد يعبر عن يأسه من عودة الماضي، ويقف من الديار موقف اعتبار. وإذا وصف ارتحال الظعائن عبر عن أسى لطيف، وزها بوصف جمال ظعائن المحبوبة عن صواحبها » [17، ص: 518].

من الامثلة التطبيقية على ذلك بامكاننا الاشارة الى مطلع معلقته الخاصة به وهو يقول:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسِقْطِ اللِّوَى بَيْنَ الدَّخُول فَحَوْمَلِ [18، ص: 77]

وفي حال عدم وصوله حبيبته عند لمعان حبه جيشان عاطفته تتحول حالته العاطفية الى الحزن والكآبة فيميل الشاعر الى البكاء ولا يرى شفاءها الا في البكاء على فراقه. فيقول في هذه المناسبة:

وإن شفائـــي عبـــرة مهـــراقةٌ فهل عندَ رســـمٍ دارسٍ من معوَّلِ

ففاضتْ دموعُ العينِ مني صبابةً على النَّحر حتىَّ بلَّ دمعيَ محملي[18، ص: 78]

4_ عاطفة الموت: ومن تجليات حب الشاعر المفرط ميله إلي الموت أو العدمية وفي أحيان كثيرة نلمس ملامح هذه النزعة في أبياته بشكل عام. وهي ليست وراءها فلسفة معينة بل عفوية علي الإطلاق. ومن أبياته في هذه المناسبة:

أجارَتَنا إنَّ الخُطُوبَ تَنوبُ وإني مُقِيمٌ ما أقامَ عَسِيبُ

أجارَتَنَا ما فاتَ لَيْسَ يَؤوبُ ومَا هُوَ آتٍ في الزَّمانِ قَرِيبُ

ولَيْسَ غريباً مَن تَناءتْ ديارُهُ ولكنَّ مَنْ وارى التُّرابُ غَريبُ [18، ص: 83]

يبدو أن الموت لدي الشاعر أمر محتوم عليه إلا أن إشارته إلي ذلک ليست نتيجة فلسفة أو اتجاهـا فكريّا معينا بل هي نتيجة عاطفته بشكل عام. فالشاعر الجاهلي عموما وشاعرنا خصوصا «يجـول فـي ميادين مختلفة من العواطف و المشاعر، ويرفع صوته بالتعبير عنها حتى يختفي كـل صـوت، وتبـرز شخصيته، فتغدو موضوعات القصيدة ميدانا تضطرب فيه المعاني المختلفة والعواطف والمشاعر الذاتيـة والجماعية... فقصيدة امرئ القيس نسيج من المشاعر والخواطر والذكريات، والطبيعة مسرح لهـا» [17، ص: 520].

فكرة الشاعر: علي الرغم من أن امرأ القيس شاعر عاطفي في أغلب الأحيان، إلا أن الشاعر قد نلاحظ في ثنايا أدبه بوادر فكرية ولو قليلة. من هذه الملامح يمكن الإشارة إلي:

1_ الهيومانية (الوطنية)

نزعة مهمة وجديرة بالإشارة في أدب امرئ القيس هي نزعته الهيومانية وهذه النزعة تتبلور في ميله إلي الأبيات والقصائد الطللية من بينها:

قِفَا نَبْكِ مِنْ ذِكْرَى حَبِيبٍ ومَنْزِلِ بِسقْطِ اللّوَى بَيْـنَ الدّخُول فَحَوْمَلِ
كَأَنّي غَـدَاةَ البَيْنِ يَوْمَ تَحَمّلُوا لَدَى سَمُرَاتِ الحَيِّ نَـاقِفُ حَنْظَلِ
وُقُوْفاً بِهَا صَحْبِي عَلَيَّ مَـطِيّهُمُ يَـقُوْلُـوْنَ: لاَ تَهْـلِكْ أَسًى وَتَجَمّلِ[18، ص: 77]

ففي تلک الأبيات نشهد تعاطفا وتوادا انسانيا لدي الشاعر ولقد بلغ هنا هذا التعاطف (الهيومانية) إلي حد أن الشاعر خاطب المخاطب بصيغة ثنائية، بينما هناک شخص واحد فقط، فهذا يشعرنا بوجود أهمية التعامل الإنساني والمودة والعاطفة البشرية في ذهنية الشاعر الوطنية، إذ إنّ الأطلال، والمنزل وغيرهما دوالّ علي الوطن وما يتعلق به.

2_ العقلانية و الحكمة

من المضامين أو المحاور الفكرية التي دل الشاعر عليها في إطاره الأدبي هو التروع العقلاني والحكمي فعليه نلاحظ أبياتاً كثيرة من الشاعر فيها ملامح حكمية وعقلانية منها مثلا:

إذا المرءُ لم يخزن عليه لسانه فلَيسَ على شيءٍ سواهُ بخزّان
أفْسَدتَ بالمَنّ ما أوْلَيتَ من نِعَمٍ لَيسَ الكرِيمُ إذا أسْدَى بمَنّـانِ [18، ص: 160، 164]

ففي ثنايا هذه الأبيات نجد الشاعر معلما وحكيما يوضح لنا مكارم الأخلاق والحكمة. وقد نجد الشاعر مهتما بمكارم الأخلاق وقضايا إنسانية. ففي هذا المجال يقول ناظما:

وَكُلُّ مَكارِمِ الأَخلاقِ صارَت إِلَيهِ هِمّـتي وَبِهِ اِكتِسـابي
أَرانا موضِعينَ لِأَمرِ غَيبٍ وَنُسحَرُ بِالطَعامِ وَبِالشَرابِ [18، ص: 78]

3-النزعة الإلهية

علي الرغم من ميل امرئ القيس المبالغ إلي الدعارة والإتيان بما هو منافٍ للأخلاق، إلا أننا قد نلاحظ في أدبه من بوارق النزعة الإلهية. من تجليات هذه النزعة كلامه الآتي:

تلكَ النّجُومُ إذا حانَتْ مَطالعُهَا شَبّهتُهَا في سَوَادِ اللّيلِ أقبَاسَا
تلك الرّياحُ إذا هَبّتْ عَوَاصِفُها كفى بأذيالهَا للتُّربِ كنّاسَا
تلكَ الموَازِينُ وَ الرّحْمَانُ أنْزَلَهَا رَبُّ البَرِيّةِ بَينَ النّاسِ مِقيَاسَا

من الأبيات المذكورة نتوصل إلي أن ذات الإنسان الإلهية تتبع من فطرته بشكل عام ولا تخمد شمعة هذه النزعة لدي الإنسان علي الإطلاق. الا أننا لا يفوتنا أيضا بأن امرأ القيس ليس شاعرا عابدا وناسكا في الله، بل إن هذا الامر نتيجة فطرته الانسانية. وهذا الامر أتاه من الآخرين من دون اي تفكير أو تمعّن. والدليل على ذلك أنه – في كثير من ابياته واشعاره يصف المرأة بكل ما فيها من الاعضاء وميله الى اللذة الجسدية منها على الاطلاق.

9. النتيجة

في ضوء ما تكلمنا عنه و فصلناه نتوصل إلي نتائج هامة منها:

1- إن شاعرنا امرأ القيس هو شاعر بارع جدا في وصف الطبيعة وما فيها بشكل واضح، إلا أن وصفه تجاه المرأة قد يتجاوز الحد الأخلاقي وقام بتصوير المرأة تصويرا غير أخلاقي والتعاطي معها في الخدر والخيمة.

2- البعد العاطفي لشعره، بما أن أدب امرئ القيس غنائي- يتغلب علي بعده الفكري، فيأتي كلامه مشحونا بالحركية والسيلان والميعان في أغلب الأحيان.

3- في بعض الأحيان نلاحظ ومضات الحكمة والأخلاق و الألوهية في تجربة الشاعر، إلا أنّ ذلك لا يعني ميوله الإرادي إلي هذا الأمر بل أنه مائل إلي الله وحقيقته من ذاته وفطرته، إو قل ميله الإلهي عفوي علي إطلاقه والدليل علي ذلک أنه قد قال عن الله قليلا أو ما شذ وندر في غضون أبياته.

CONFLICT OF INTERESTS
There are no conflicts of interest

10. المصادر

1. مونيه، ربعي، ثابت، طارق، تشكل الوصف في شعر امرئ القيس المعلقة نموذجا، جامعة العربي بن مهيدي- ام البواقي كلية الآداب واللغات والعلوم الاجتماعية والإنسانية، قسم اللغة العربية، تاريخ وصول الدراسة إلى الباحثين 2019.
2. الاسد، ناصرالدين، مصادر الشعر الجاهلي وقيمتها التاريخية، الطبعة السابعة، بيروت: دار الجيل، 1956م
3. ضيف، شوقي، العصر الجاهلي، الجزء الأول، القاهرة، دار المعارف للطباعة والنشر، تاريخ وصول الدراسة إلى الباحثين 2019.

4. التبريزي، يحيى بن علي بن محمد الشيبانيّ، أبو زكريا (المتوفى: 502هـ) شرح ديوان الحماسة (ديوان الحماسة: اختاره: أبو تمام حبيب بن أوس ت 231 هـ)، الناشر: دار القلم– بيروت، تاريخ وصول الدراسة إلى الباحثين 2019.
5. سيرة ذاتية عن الشاعر امرؤ القيس...أبو الشعر العربى وأفضل شعراء الجاهلية.). https://murtahil.com: موقع ألكتروني.
6. الوكيل، ابراهيم، 23/ نيسان/2015، امرؤ القيس، حياته، سماته وخصائص شعره، دار ناشرين للنشر امرؤ القيس، (2004م)، الإلكتروني.
7. محسني نيا، ناصر؛ حجت، محمد، طبيعت وعناصر آن در شعر امرؤ القيس (علمي- پژوهشي)، نشريه دانشكده ادبيات وعلوم انساني دانشگاه باهنر كرمان، دوره جديد شماره 24، ص: 251_218، (1387ه).
8. خرمي، مهدي؛ نودهي، مهدي، محمد الماغوط واحمد شاملو في جدلية العاطفة والفكرة، مجلة بحوث في الأدب العربي المقارن، السنة الرابعة، العدد16، ص: 62-45، (1393ه).
9. پرويني، خليل، جايگاه ادبيات در آثار امام صادق، فصلنامه علمي- تخصصي دانشگاه علامه طباطبايي، شماره سوم، ص: 24-1، (1391ه).
10. عبد الحميد، حسن، العاطفة وإرتباطها بالأدب، نشريه صحيفه دار العلوم، العدد 3، ص: 26-20، (1943م).
11. الحاج حسن، حسين، الأدب العربي في العصر الجاهلي، ط1، بيروت: المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر التوزيع، 1984م.
12. رجائي، نجمه:شعر وشرر، چاپ اول، انتشارات دانشگاه فردوسي مشهد، 1382.
13. رباح، على، البحث عن الذات في الشعر الجاهلي، اشراف: الاستاذ الدكتور عدنان أحمد، سوريا: جامعة تشرين2013م.
14. محمد أحمد، عدنان؛ عثمان، مازن أحمد، مجلة دراسات في اللغة العربية وآدابها، فصلية محكمة، العدد التاسع عشر، ص: 143-172، 2014م.
15. زوزني، حسين ابن احمد، شرح معلقات السبع الطوال، تعليق وحواشي، عمر فاروق الطباع، الطبعة الثانية بيروت، دار الأراقم(1917م).
16. المرأة في الشعر الجاهلى، (http://www.aladibnewspaper.net)
17. الاشتر، محمد صبري، العصر الجاهلي الادب والنصوص المعلقات، جامعة حلب، كلية الآداب والعلوم الانسانية،1995م.
18. امرؤ القيس، ديوان امرئ القيس، شرح عبد الرحمن المصطاوي، بيروت، دار المعارف، تاريخ وصول الدراسة إلى الباحثين 2019.